الفصل الأول

● ترفع الستار عن أشراف روما وقد اجتمعوا فى بهو قصر الإمبراطور « كاليجولا » ، يسودهم قلق شديد ، وانفعال قاس ، إذ اختفى الإمبراطور ، وأخفقت كل المحاولات فى سبيل العثور عليه . ويغلب على الأمراء الظن بأن الإمبراطور الفتى قد هام على وجهه حزنا على أخته التى ماتت .. فيقول أحدهم :

« لقد كان يحب دروسيلا .. وإذا كان قد شاركها مخدعا واحدا ، فهذا أمر حدث كثيرا من قبل .. أما أن يقلب روما رأسا على عقب لأنها ماتت ، فذلك شيء لا يليق !.. ومهما يكن من شيء فإن واجب الولاية لا يسمح بقيام علاقة غير مشروعة تأخذ طابع المآسى .. إلا فى الخفاء ! » ..

وقال « سكيبيون » — أحد النبلاء — :

« إن بعض المزارعين رأوا الإمبراطور فى الليلة السالفة يجرى فى جوف العاصفة ، واننى كنت معه منذ أيام ثلاثة .. « وكنت أتبعه كما تعودت أن أفعل ، وتقدم نحو جسد دروسيلا ، فمسه بأصبعين .. ثم بدا كأنه يفكر منطويا على نفسه وما لبث أن خرج فى خطو متزن ! »

وقال « شيريا » — وهو نبيل آخر :

« إن الإمبراطور كان بالغا حد الكمال » .

فأجابه آخر :

« أجل .. كان كما ينبغي أن يكون : مترددا ، وتعوزه التجربة ! » ..

وعاد « شيريا » يقول :

« كان هذا الغلام يعشق الأدب .. إن يكن المرء إمبراطورا وفنانا ، فشيء لا نعقله ! » .

فقال الشريف الذى أجابه أولا :

« لننتظر ، فإذا لم يعد ، حق علينا أن نقيم غيره . فالعثور على أباطرة من بيننا أمر ليس بالعسير » !

ويفد حارس ينبئهم بأن « كاليجولا » شوهد فى حديقة القصر ، فيبادر الجميع إلى الخروج . ولا يلبث « كاليجولا » أن يفد مستخفيا ، شاردًا ، قذرا ، مبتل الشعر ، ملطخ الساقين بالوحل . ويدخل « هليكون » — وهو أيضا من الأشراف — فيقف ويرقبه فى صمت ، ثم يتقدم ويحييه ، ويستدرجه إلى الحديث ، فيعلم إنه سار طويلا وراء مطلب عسير . ويسأله هليكون : « وما هو ؟ » ، فيقول كاليجولا فى لهجة طبيعية : « القمر !.. إنه أحد الأشياء التى لا أملكها » ..

ولكنه لم يستطع أن يحصل عليه !.. وكأنما لمح من نظرات « هليكون » أنه يشك فى سلامة عقله ، فيقول :

« لست مجنونا ، ولكننى لم أكن كذلك حريصا على موافقة العقل يوما !.. كل ما هنالك أننى شعرت فجأة بحاجة إلى المستحيل !.. إن هذا العالم ، بحاله الراهنة ، لا يحتمل . ولهذا فأنا فى حاجة إلى القمر ، أو إلى السعادة ، أو إلى الخلود .. إلى شيء قد يكون جنونا ، ولكنه ليس من هذا

العالم فى شىء ! » .

وينهض « كاليجولا » فى هدوء وبساطة ، فيحدق فى هليكون ويقول :

ــ أعرف ما يدور بخلدك .. هناك روايات تتعلق بموت امرأة ، ولكن الأمر ليس كذلك . هناك فى الواقع أيام أذكر فيها أن امرأة أحببتها يوما قد ماتت ، ولكن ، ما هو الحب ؟.. شىء ضئيل .. وذلك الموت ليس شيئا !.. إنه لا يعدو أن يكون إشارة إلى وجود حقيقة معينة تجعل القمر ضروريا لى .. حقيقة جد بسيطة ، وجد واضحة .. سخيفة بعض الشىء ، لكن اكتشافها عسير . أما تلك الحقيقة فهى : أن البشر يموتون ، وأنهم ليسوا سعداء ! » .

وهنا يقول هليكون :

« تلك حقيقة نتقبلها ، وننظم شئوننا وفقا لها ! » ..

فيجفل كاليجولا ويقول :

« إذن فكل ما حولى كذب .. إننى أريد أن يعيش القوم فى الحقيقة .. إنهم محرومون من المعرفة ، وينقصهم معلم على دراية بالموضوع الذى يتكلم فيه ! » ..

ويحاول « هليكون » أن يقنعه بأن ينال نصيبا من الراحة ، فيقول الإمبراطور :

«إذا أنا نمت ، فمن الذى يعطينى القمر ؟ » .

* * *

● ويخرج الإمبراطور ، فلا يلبث « سكيبيون » أن يفد مع

« سيزونيا » ، وينكر « هليكون » أنه رأى « كاليجولا » ، ثم يخرج ، وإذ ذاك تجلس « سيزونيا » فى إعياء وتقول :

« لقد رآه أحد الحراس .. إن روما كلها ترى كاليجولا فى كل مكان ، فى حين أن كاليجولا لا يرى غير .. مِثاله ! » ..

ويسألها : « أهذا المِثال دروسيلا ؟ » .

فتقول : « من ذا الذى يستطيع أن يقول هذا ؟.. ولكنه كان فى الواقع يحبها ! » ..

فيسألها متهيبا : « وأنت ؟ » .

— أواه !.. إنما أنا الحبيبة المكتهلة !..

(وبينما يتحدث الرجل عن مناقب كاليجولا وحكمته ، تقف المرأة أمام المرآة تتأمل صورتها ، ثم تقول) : لم يكن لى قط من إلٰه سوى جسدى .. وهذا هو الإلٰه الذى أتوسل إليه اليوم ، ليعود كاليجولا إلىّ !

ويفد « كاليجولا » إذ ذاك ، فما إن يراهما حتى يهم بالخروج ، ولكن الأشراف يقبلون من الناحية الأخرى ومعهم رئيس الديوان ، الذى يعرب للإمبراطور عن قلق الجميع لغيابه ، فيقول : « وما الداعى ؟ » ..

ويرتبك رئيس الديوان ، ثم يلهمه خاطره أن يقول : « هناك من شئون الخزانة العامة ما يجب أن تراه » ..

فيلتفت « كاليجولا » إلى « سيزونيا » قائلا :

— أليست الخزانة شيئا بالغ الخطر يا عزيزتى ؟.. إن لها فائدة واقتدارا .. ولكل شىء خطره : مال الدولة ، والأخلاق العامة ، والسياسة الخارجية ، وأمداد الجيش ، وقانون الأراضى !.. كلها أمور

أساسية . إننى مطالب بأن أهتم بكل شىء ، سواء فى ذلك عظمة روما ، والتهاب مفاصلك !.. ألا اسمع يا رئيس الديوان .. سنحدث انقلابا فى الاقتصاد السياسى ، على مرحلتين .

ويصرف الأشراف ، فلا يستبقى سوى « سيزونيا » و « سكيبيون » ورئيس الديوان ، ثم يمضى فى شرح انقلابه : إن على الأشراف جميعا أن يحرموا أولادهم من ثرواتهم ويوصوا بها للدولة ، فى الحال .. وكلما دعت الحاجة ، سيق هؤلاء الأشراف إلى الموت ، بترتيب ورود أسمائهم فى قائمة خاصة .. وهو ترتيب يمكن تبديله وفقا للمناسبات !..

وإذ يحاول رئيس الديوان أن يعترض ، يصيح « كاليجولا » :

ــ ستنفذ هذه الأوامر دون تأخير .. لا قيمة للحياة الإنسانية إذا كانت الخزانة هى المهمة !.. إن المال هو كل شىء !.. لقد قررت أن أكون منطقيا . وما دمت أملك السلطان ، فسترون ماذا يكبدكم المنطق من عواقب . سأقضى على كل معترض .. وسأبدأ بك إذا استلزم الأمر !

وإذ يخلو « كاليجولا » إلى « سكيبيون » و « سيزونيا » تقول له هذه : « أكاد أنكرك !.. إن هذه دعابة منك .. أليس كذلك ؟ » .

فيقول : ليس تماما يا سيزونيا . إنما هذا شىء من فن التربية .. أن نجعل ممكنا ، ما ليس كذلك !

سكيبيون: ولكن هذا عبث لا يقف عند حد .. إنها تسلية مجنون !

كاليجولا: بل هى فضيلة إمبراطور !.. آه !.. ها أنذا ، أخيرا ، أعرف فائدة السلطان ، فهو يهيئ الطريق للمستحيل .. لن تكون

لحريتى حدود فى يومى هذا ، وفى كل يوم مقبل !

ويقبل « شيريا » ، فيبادره الإمبراطور بأنه لا يريد أن يراه ، لأنه لم يعد يحب الأدباء ، أو يحتمل الكذب !.. ويحاول « شيريا » أن يدافع ، فيقول « كاليجولا » :

ـــ خل عنك دفاعك ، فالقضية واضحة . لا قيمة لهذا العالم . ومن يعرف حقيقته ، ينل حريته !.. إننى أمقتكم جميعا لأنكم لستم أحرارا !.. ما من حر فى الدولة الرومانية ، سواى .. فابتهجوا ، إذ جاءكم أخيرا حاكم يرشدكم إلى الحرية !.. (**لشيريا وسكيبيون**) اذهبا ، فأعلنا روما أن حريتها قد ردت إليها ، وأن مع الحرية تبدأ محنة عظيمة !

* * *

● **وما** إن يخرج الرجلان ، حتى تبكى « سيزونيا » وهى تقول إن موت « دروسيلا » قد بدله ، فيهتف بها : « أيتها الحمقاء !.. ألا يمكن أن تتصورى رجلا يبكى لسبب آخر غير الحب ؟.. إنما يبكى الرجال لأن الأمور ليست كما ينبغى أن تكون ! » .

سيزونيا : فى مثل سنى ، يعرف الإنسان أن الحياة ليست طيبه . ولكن ، إذا كان الشر موجودا على الأرض ، فلماذا نضيف إليه شرا جديدا ؟!

كاليجولا : إننى أحس بكائنات لا أعرف لها أسماء تضطرب فى داخلى ، فماذا أملك حيالها ؟.. كنت أعرف أن الإنسان عرضة لليأس ، ولكننى كنت أجهل ما تعنى هذه الكلمة .. كنت أعتقد ـــ كغيرى ـــ أن هذا مرض يصيب النفس ، ولكن ..

لا ، إن الجسد هو الذى يتألم .. جلدى يؤلمنى ، وصدرى .. وأطرافى .. رأسى أجوف ، وإنى لأشعر بالغثيان .. وأشد ما يضايقنى هو هذا المذاق فى فمى .. إنه ليس مذاق الدم ، ولا الموت ، ولا الحمى .. وإنما هو كل هذه مجتمعة !.. لكم هو قاس ، مرير ، أن يصبح المرء رجلا !.. ماذا يجدينى العزم ، أو ينفعنى السلطان ، إذا لم يكن بوسعى أن أغير من طبيعة الأشياء .. أن أجعل الشمس تغرب فى الشرق ، والألم يتناقص ، والأحياء بمنجاة من الموت !!

سيزونيا : ولكن هذا طموح إلى مراتب الآلهة .. وما أعرف أشد من هذا جنونا !

كاليجولا : أنت أيضا تعتقدين أننى مجنون !.. إن ما أريده اليوم ، بكل قواى ، لشىء يسمو على الآلهة .. إننى أتولى شئون مملكة ، صار فيها المستحيل ملكا !.. أريد أن أمزج السماء بالبحر ، والجمال بالقبح ، وأن أطلق الضحك من أعماق الألم !.. وعندما يتحقق المستحيل على الأرض ، ويستقر القمر بين يدى ، فلعلنى أتبدل والعالم معى ، وإذ ذاك يخلد البشر — أخيرا — ويسعدون !

وتقول له : « إنك لن تملك أن تنكر الحب » ..

فيهزها ، ممسكا بكتفيها ، ويقول : « الحب يا سيزونيا ؟.. لقد عرفت أنه لم يكن شيئا ، وأن صاحب الحق فى كل تقدير هو الخزانة العامة !.. آه ، الآن أوشك أن أحيا ، فى آخر الأمر !.. أحيا ، يا سيزونيا .. أحيا ،

وهذا نقيض الحب .. أنا الذى أقول لك هذا ، وأنا الذى أدعوك إلى احتفال .. إلى محاكمة عامة .. إلى أجمل المشاهد ! » .. ويروح يدق الطبل ، طالبا المذنبين ، ومن قضى عليهم بالموت ، والجمهور .. « أريد جمهور شعبى ، قضاة ، وشهودا ، ومتهمين .. كلهم قد حكم عليهم مقدما !.. أواه يا سيزونيا ، سأريهم ما لم يروا قط .. سأريهم الإنسان الحر الوحيد فى الدولة !.. وأنت يا سيزونيا ، أقسمى أن تساعدينى .. ستكونين قاسية ، باردة ، شديدة الغضب .. وستألمين أيضا ! » ..

فتقول : « أجل يا كاليجولا .. ولكننى سأصبح مجنونة ! » .

ويفد الأشراف ورجال القصر مذهولين ، فيدعوهم للاقتراب ، ويأخذ بيد « سيزونيا » فيقودها إلى المرآة . وبضربة مجنونة ، يمحو صورته بالمقرعة عن السطح المصقول وهو يضحك قائلا : « ها أنت ذى ترين أن لم يعد هناك شيء .. لم تعد هناك ذكريات .. هل تعرفين ما الذى بقى ؟ » ..

وبتخذ مظهرا جنونيا ، فتهتف مذعورة : « كاليجولا ! » ..

فيضع أصبعه على المرآة ، وتجمد حدقتاه فجأة ، ويهتف فى انتصار : « كاليجولا ! » .

الفصل الثانى

● ويجتمع الأشراف ــ بعد سنوات ثلاث ــ لدى « شيريــا » يتبادلون الشكوى مما يتعمده الإمبراطور من تحقيرهم والتـعسف فى معاملتهم .

ويقول أحدهم : « لقد اغتصب عقارك يا باتريكيوس ، وقتل أباك يا سكيبيون ، وسلبك امرأتك يا أوكتافيوس ، وقتل ولدك ياليبيدوس .. أتحتملون هذا ؟.. أما أنا ، فقد اخترت طريقى » ..

فيقول سكيبيون : « وبقتله أبى ، اختار بنفسه طريقى ! » .

وتشتد حمية القوم وثورتهم ، ويهمون بأن ينطلقوا ليقتحموا القصر ليفتكوا بالإمبراطور « النذل ، السفيه .. وأكثر الطغاة جنونا ! » ..

ولكن « شيريا » يقول لهم : « لا .. إنه ليس كامـل الجنـون ، وما يزعجنى منه سوى أنه يعرف ما ينبغى !.. إنه يضع سلطانه فى خدمة شهوة جد عارمة ، وجد فتاكة .. إنه يهددنا فى أعمق سرائرنا . ولا شك فى أن هذه ليست أول مرة يتاح فيها لرجل من بيننا سلطان غير محدود ، ولكنها أول مرة يستغل فيها السلطان على نطاق لا حد له .. إنه ينكر الإنسان والعالم ، وهذا ما يملؤنى رعبا .. وهذا ما أريد مقاومته !.. أن نرى إحساسنا بالحياة يضمحل ، وغاية وجودنا تختفـى ، فهـذا ما لا أحتمله ! » .

ويهتف أحد الأشراف : « الثأر ذاته غاية ! » .

شيريا : وإنى مشاطركم إياه ، ولكن هذا لن يكون لدفع ما يحيق بكم من إهانات تافهه ، وإنما هو كفاح ضد فكرة كبرى ، فى انتصارها نهاية للعالم !.. إننى لا أقبل أن يعمل كاليجولا على تحقيق أحلامه .. فهو يحول فلسفته إلى جثث .. وهى — لتعاستنا — فلسفة بغير موضوع !.. ينبغى أن نعمل !.. ولكنكم لن تحطموا هذا الظالم عندما تواجهونه وهو فى عنفوان بأسه .. بل لا بد من التذرع بالحيلة أمام إرادة الشر المطلقة . يجب أن نذكى فيه هذه الإرادة ، ونتربص حتى يصبح منطقه ذاك جنونا !.. ولكننى لن أظل معكم إلا إلى أجل ، فما أريد سوى أن أجد السلام من جديد ، فى عالم قد عاد ملتئم الشمل . ليس الذى يدفعنى إلى العمل هو الطموح ، ولكنه الخوف .. الخوف من ذلك الخيال الجامح ، المستبد ، الذى لا يقيم لحياتى وزنا !.. أجل ، لنترك لكاليجولا الحبل على الغارب ، بل لندفعه فى هذا الطريق ، حتى نجعل من جنونه حقيقة ملموسة ، ولن يلبث أن يحين يوم يصبح فيه وحيدا تجاه دولة مليئة بالموتى وأبناء الموتى !

* * *

● **ويكف** القوم عن الكلام ، إذ يدخل « كاليجولا » و « سيزونيا » ، يتبعهما « هليكون » ونفر من الجنود . ويطيل الإمبراطور التفرس فى المتآمرين ، ثم يخرج . فتقول « سيزونيا » باسمة :

« لعلكم تتضاربون ؟.. يحسن أن تعيدوا تنظيم المكان ، فإن كاليجولا يبغض الفوضى » !..

ويقول هليكون : « سينتهى بكم الأمر إلى أن تخرجوا الرجل عن طوره .. لقد تآمرتم قليلا بالطبع .. إنه يعرف ما تصنعون ، ولكننى أحدس أن هذا يشجعه بعض الشىء .. لنتعاون على إعادة النظام !

ولا يلبث أن يعود « كاليجولا » ، فيقول : « إن عملا ينتظرنى أيها السادة ، لكننى قررت أن آخذ قسطا من الراحة أولا ، عندك يا شيريا ، وأمرت بإحضار الطعام .. وقد سمحت لنفسى بدعوة امرأتك ياموكيوس .. أما روفيوس ، فمن حظه أن أحسست بجوع ملح .. إنه الفارس الذى ينبغى موته .. ألا تسألوننى لماذا ينبغى موته ؟.. (**وتعد المائدة فى تلك الأثناء ، فيقبل على الأكل**) .. ستدركون فى النهاية أن ليس من الضرورى أن يقترف المرء شيئا لكى يستحق الموت ! » .

ويضطر الآخرون إلى أن يتناولوا الطعام معه ، وهو غير مكترث لآداب المائدة ، ولا لقواعد الذوق . ولا يلبث أن يلتفت إلى « ليبيدوس » قائلا : « إنك تبدو منحرف المزاج ، فهل يكون هذا لأننى قتلت ولدك ؟ » .

ويبادر الشريف إلى إنكار هذا ، فيقول الإمبراطور : « آه !.. لكم أود أن يكذب الوجه شجون القلب .. فليس هناك من هو أعز إلى نفسى منك .. لنضحك معا .. اسمع الآن (**حالما**) كان هناك إمبراطور مسكين لا يحظى بحب أحد ، فى حين أنه كان يحب ليبيدوس ، فقتل ولده ليتلاشى هذا الحب !.. شىء مضحك .. ألا يضحك أحد ؟.. (**فى غضب**

محتدم) أريد أن يضحك الجميع ، وأنت يا ليبيدوس ! » ..

وينهض الجميع ، وهم يتحركون كالدمى ، بينما يتمرغ « كاليجولا » فى مقعده من شدة الضحك ، ثم يقول لموكيوس : « حدثنا عن امرأتك ! »..

وتبدو الحيرة على أسارير الرجل ، بينما يربت الإمبراطور كتف امرأة موكيوس وهو شارد البال ، ثم يقول : « لقد كنتم تتآمرون على ، عندما أقبلت .. أه ؟.. لا أهمية لهذا ، فأنتم عاجزون عن القيام بعمل يحتاج إلى شجاعة .. إنما خطر لى أن هناك من شئون الدولة ما يحتاج إلى أن ننظر فيه . ولكن . لنعرف أولا كيف نستجيب للرغبات الملحة التى تخلقها فينا الطبيعة ! » ..

ويجذب زوجة موكيوس إلى مكان مجاور !

* * *

● **ويسود** القاعة صمت واجم . ويقدم « موكيوس » خمرا إلى « سيزونيا » وهو مغلوب على أمره ، بينما يشرع الآخرون فى تملق « كاليجولا » لديها ، فيقترح بعضهم أن يسجل آراءه . وتجيب سيزونيا قائلة : « ستذهلون إذا ما عرفتم أنه فكر فى هذا، وانه يكتب الآن بحثا عظيما ! » ..

ولا يلبث أن يعود كاليجولا ، فيقول لموكيوس : « ها أنا ذا أعيد إليك زوجتك ! » ..

ثم يخرج ، بينما يقف موكيوس شاحب الوجه ، وقد علق بصره بالباب الذى اختفى كاليجولا خلاله . ولكن هذا سرعان ما يعود ، فيعلن أنه أمر

بإغلاق مخازن الغلال ، لتسود المجاعة فى اليوم التالى . ويهم رئيس الديوان بالاعتراض ، ولكن الإمبراطور يصيح : « أقول إنه ستكون ثمة مجاعة غدا .. العالم كله يعرف المجاعة .. إنها محنة .. وسأضع للمحنة حدا ، عندما يروق لى .. ومع ذلك ، فما أقل ما أجد من وسائل للدلالة على حريتى .. إن المرء يحقق حريته على حساب غيره ، وهذا شىء بغيض ، ولكنه طبيعى ومألوف .. لنأكل يا سادة ! » .

ثم يعلن إليهم أنه يعد بحثا فى « الإعدام » اعتزم أن يناقشه معهم ، ويطلب إلى « هليكون » قراءة الفقرة الأولى من القسم الثالث منه ، فيتلو الرجل : « إن الإعدام يريح وينقذ .. إنه إجراء شامل يكفل القوة ، ويوافق العدل تطبيقا ومقصدا .. فالمرء يساق إلى الموت لأنه مذنب ، وهو مذنب لأنه تابع لكاليجولا ، وما دام الناس كلهم أتباعا لكاليجولا ، فهم — والحال هذه — مذنبون جميعا ، وبالتالى فقد حق عليهم الموت . هذه مسألة وقت وصبر ! » .

ويستبقى « كاليجولا » بعض الأشراف ، ليبحث معهم أمرا كان يشغل باله .. فإن تنظيم المتجر الذى أنشأه لحسابه غدا مبعث هم كبير له .. فتقترح « سيزونيا » فى النهاية أن ينشئ وساما جديدا ، يمنح لأكثر المواطنين ترددا على متجر كاليجولا ، على أن يمنح فى كل شهر مرة ، ومن لا يفوز بالوسام مرة — على الأقل — خلال اثنى عشر شهرا ، ينفى أو يعدم !..

وفجأة ، يفيق كاليجولا المخمور ، فينظر إلى أحد الأشراف .

كاليجولا : ماذا تشرب يا ميريا ؟

ميريا : إنه دواء للربو يا مولاى ..

كاليجولا : بل هو ترياق للسم !.. إنك تخشى أن أدس لك السم .. إنك تتهمنى وتسىء الظن بى .. ترتاب فى ، وتتوجس منى .. إذا كنت تتعاطى ترياقا ، فأنت ترى عندى نية تسميمك !

وعبثا يحاول الرجل أن ينفى عن نفسه هذا الاتهام ، فيقول الإمبراطور : « منذ اللحظة التى اعتقدت فيها أننى قررت تسميمك ، أصبحت تناهض إرادتى .. وهذا يجر إلى إحدى جريمتين : إما أننى لم أكن أنتوى قتلك ، فأنت تتجنى على ، أنا إمبراطورك .. وإما أننى كنت أعتزم هذا ، وأنت — أيتها الحشرة ! — تعترض مشروعاتى !.. وثمة جريمة ثالثة ، هى أنك تعتبرنى أبله ! » ..

ويدفع إليه بزجاجة السم ويأمره بأن يشرب ما فيها . وإذ يأبى الرجل ويعارض ، يطرحه الإمبراطور على مقعد منخفض ، وبعد صراع يدس القنينة بين أسنان « ميريا » ويهشمها بقبضة يده . وبعد اختلاجات ، يموت « ميريا » ووجهه ينضخ ماء ودما !



ويدفع « كاليجولا » بزجاجة « ميريا » إلى « سيزونيا » متسائلا : « أهذا ترياق ؟ » ..

فتجيب : « كلا .. بل هو دواء للربو » !..

وينظر كاليجولا إلى جثة ميريا قائلا : « لا بأس ، فالنهاية واحدة ، سواء تقدمت قليلا ، أو تأخرت قليلا ! » ..

ويخرج كاليجولا . وإذ ذاك يجتمع شمل المتآمرين ، فتسأل « سيزونيا » الشاب « سكيبيون » وهى تحدق فى عينيه : « أتريد أن تقتله ؟ » .

سكيبيون : أجل .. أن أقتله أو أقتل أنا .

سيزونيا : لن أغدر بك ، ولكننى أريد أن أخاطب خير ما فيك .

سكيبيون : خير ما فى هو حقدى !

سيزونيا : فكر أولا فى وجه أبيك المشوه ، وقد انتزعوا منه اللسان .. فكر فى ذلك الفم المليء بالدم ، وفى صرخة الحيوان المعذب التى انطلقت منه .. ثم فكر فى كاليجولا .. حاول أن تفهمه !

* * *

● **ويلتقى** « كاليجولا » والشاب .. فيتساءل الأول عن آخر أشعار الثانى ، ويجيب « سكيبيون » بأنها كانت عن الطبيعة ، ثم يقول فى لهجة ساخرة : « إنها تعزينى عن أننى لست قيصرا .. إنها أبرأت عندى جراحا بالغة الخطورة ! » .

كاليجولا : جراحا ؟.. تقولها متخابثا !.. أذلك لأننى قتلت أباك ؟..

آه ، لو عرفت مدى صدق هذه الكلمة : جراحا !.. ليس هنالك ما يجعل الناس أذكياء ، قدر البغضاء !

ويحاول « كاليجولا » أن يحمل الشاب على أن يروى له قصيدته ، فيزعم « سكيبيون » أنه نسيها .. ويقول أخيرا : « لقد تكلمت عن توافق ما .. » .

كاليجولا: بين الأرض والقدم التى تطؤها ؟

سكيبيون: أجل ، وسلسلة التلال الرومانية أيضا !.. وذلك السكون العابر ، المثير ، الذى يسبق المساء .

كاليجولا: وفرقعات السياط فى جو الحقول ؟

سكيبيون: أجل ، وتلك اللحظة الجليلة التى تنقلب السماء الذهبية فيها فجأة ، فترينا وجهها الحافل بالنجوم الساطعة .. ولكن ، كيف عرفت هذا ؟

كاليجولا: (**يضمه قائلا**) ربما كنا نحب عين الحقائق !

سكيبيون: (**يخفى رأسه مقشعرا فى صدر كاليجولا**) أواه .. ماذا يهم ، وكل شىء يتخذ فى نفسى صور الحب ؟!

كاليجولا: هذه فضيلة القلوب الكبيرة .. ليتنى أستطيع — على الأقل — أن أستشف نفسك !.. ولكننى أعرف قوة حبى للحياة .. إنه حب لا يكتفى بالطبيعة .. لن تستطيع أن تفهم هذا ، لأنك من عالم آخر . إنك نقى فى الخير ، وأنا .. نقى فى الشر !.. إن شعرك ولا بد جميل ، ولكن ، ينقصه الدم .

ويتراجع الشاب مذعورا ، محملقا فى كاليجولا فى ذعر ، ثم يقول :

« أى قلب نتن ، دام !.. أى شر وأى حقد يعذبانك !.. لكم أرثى لك .. ولكم أبغضك ! » ..

ويحاول كاليجولا أن يحمله على السكوت ، ولكنه يمضى قائلا : « وأية عزلة مدنسة .. عزلتك ! » ..

فينطرح عليه كاليجولا ويمسك به من طوقه ، ويهزه قائلا :

ـــ العزلة ؟!.. أتعرفها أنت ؟ إنما هى للشعراء والعاجزين .. أنت لا تعرف إلا نوعا واحدا منها ، هيهات أن يجده المرء . إن أثقال المستقبل ، والماضى معا ، ترافقنا !.. الذين قتلناهم يعيشون معنا ، وهؤلاء أمرهم يسير . أما أولئك الذين أحببناهم ، والذين لم نحبهم ولكنهم أحبونا .. والشجى ، والرغبة ، والمرارة ، والحلاوة ، والغوانى ، والآلهة .. آه لو أننى أستطيع أن أتذوق ـــ على الأقل ـــ الحقيقة ، والصمت ، واهتزاز الشجر ، بدلا من هذه العزلة المريرة ، الحافلة ، التى تضمنى وحدى !.. إنها غاصة بصريف الأسنان ، وأصداء الضجيج والصيحات المكروبة .. بالقرب من النساء اللواتى أغازلهن ، وقد أطبق الليل علينا أستاره ، وبدا لى ـــ وأنا أتخلص من جسدى الذى نال أخيرا كفايته ـــ أننى أمسك ببعض نفسى بين الحياة والموت .. إذ ذاك ، تمتلئ عزلتى برائحة اللذة الكريهة ، عند إبطى المرأة ، التى تتهاوى بدورها إلى جانبى !

ويبدو منهكا ، فيتردد سكيبيون ، ثم يتقدم من خلفه ، فيضع يدا على كتفه ويقول : « لكل إنسان فى حياته سلوى تكون بمثابة الواحة الوارفة ، يستظل بها كلما قسا عليه الهجير .. أليس فى حياتك إذن ما يشبه هذا ؟ » .

كاليجولا : إنه موجود .. (فى بطء) إنه .. الاحتقار !

الفصل الثالث

● وترتفع الستار فى الفصل الثالث عما يشبه العرض المسرحى .. دفوف تدق ، و « هليكون » ينادي فى الناس .. إن الآلهة عادت إلى النزول على الأرض ، إذ أعارها « كايوس ، القيصر والإلٰه الملقب بكاليجولا » ، صورته البشرية !..

وتدعو « سيزونيا » الناس إلى أن يقبلوا فيدفعوا دراهمهم ليتعبدوا .. « فإن الأسرار العلوية أصبحت اليوم فى متناول الفقير والغنى ! » .. ثم تجذب الستار ، فيبدو « كاليجولا » فى زى « فينوس » وقد وقف على قاعدة تمثال .. وتصيح « سيزونيا » : « الآن تبدأ العبادة .. خروا سجدا » .

ويسجد الأشراف جميعا ، ماعدا « سكيبيون » ، ويرددون وراءها صلاة « كاليجولا – فينوس » .. صلاة مخبولة ، يدعون فيها « فينوس » قائلين : « علمينا التغاضي الذى يجدد الحب .. أرشدينا إلى حقيقة هذا العالم .. الحقيقة التى لا نعلم منها شيئا !.. املئينا من عطاياك ، وانشرى على وجوهنا قسوتك الشاملة ، وبغضك الذى يتغلغل فى ذات الأشياء !.. ابسطى فوق عيوننا يديك المملوءتين زهرا وموتا .. أسكرينا من خمر مساواتك ، وأشبعينا على الدوام ، من قلبك الأسود الذى له طعم الملح ! » .

وعندما يفرغون من الصلاة ، يهتف كاليجولا : « أحسنتم يا أبنائى .. ستجاب دعواتكم ! » ..

ويضعون دراهمهم ثم ينصرفون ، فيقول كاليجولا : « لو لم يكن للآلهة من ثروة سوى حب الفانين ، لأصبحوا فقراء مثل كاليجولا المسكين .. أذيعوا فى المدينة أنباء المعجزة الرائعة .. لقد رأيتم فينوس بأعينكم .. ولقد تحدثت إليكم فينوس ! » .

ويقف « سكيبيون » أمام « كاليجولا » ، وإلى جواره هليكون وسيزونيا .

سكيبيون : لقد كفرت يا كايوس ، إذ تدنس السماء ، بعد أن أدميت الأرض !

سيزونيا : ألا اعلم أن فى روما أناسا يساقون إلى الموت فى هذه اللحظة ، من جراء أحاديث أقل بيانا من حديثك !

كاليجولا : أتؤمن بالآلهة إذن يا سكيبيون ؟

سكيبيون : كلا .. ولكنى أستطيع أن أنكر الشيء دون أن أضطر إلى تدنيسه ، أو انتزاع الإيمان به من الآخرين !

كاليجولا : إن جل ما يؤخذ على اليوم ، هو أننى أحرزت تقدما يسيرا فى طريق السلطان والحرية !.. إن فى منافسة الآلهة — عند رجل يحب السلطان — شيئا مثيرا ، ولكنى وضعت حدا لهذا ، إذ برهنت لتلك الآلهة المضللة على أن الإنسان يستطيع ، إذا شاء ، أن يمارس — وبغير تدريب ! — حرفتهم المضحكة .. لقد أدركت فى يسر أن ليس ثمة إلا طريقة واحدة للمساواة

بالآلهة .. يكفى أن يكون المرء مثلها قاسيا !

سكيبيون : يكفى أن يجعل من نفسه طاغية !

كاليجولا : وما عسى أن يكون الطاغية ؟

سكيبيون : نفس عمياء !

كاليجولا : بل رجل يضحى شعوبا فى سبيل مثله العليا . وأنا رجل لا مثل لديه ، فليس ما يدعونى إلى الجد فى طلب المجد والسلطان .. وإذا كنت أمارس هذا السلطان ، فعلى سبيل التعويض .. التعويض عن بلادة الآلهة وبغضائها !

ويقول « سكيبيون » إنه لا سبيل للتعويض إلا بالفقر ، وبالكف عن القضاء على من حوله من الرجال .

فيقول « كاليجولا » ، إنه تحاشى ثلاث حروب ، لأنه .. يحترم الحياة الإنسانية !..

« أو على الأقل ، أحترمها أكثر مما أحترم فكرة مثالية عن الغزو .. ولكن من الصحيح كذلك أننى لا أحترمها أكثر مما أحترم حياتى الخاصة .. وإذا كان يسيرا على أن أقتل ، فما هو بالعسير على أن أموت .. إننى كثيرا ما أفكر فى هذا ، فأقتنع بأننى لست طاغية ! » ..

ويمضى « كاليجولا » فى الحديث عن « شطحات » خياله ، قائلا : « إن القدر عسير على الفهم ، وهذا هو السبب فى أننى جعلت من نفسى قدرا ! » ..

وإذ يجيبه « سكيبيون » بأن هذا هو التجديف بعينه ، يقول كاليجولا : « كلا .. هذا هو الفن الدرامى !.. إن خطأ أولئك الناس

جميعا ، هو عدم الإيمان الكافى بالمسرح ، ولولا ذلك لعرفوا أن من المباح لكل إنسان أن يمثل الفواجع السماوية ، وأن يصبح إلـٰها » !

سكيبيون : لا بد أنك قد فعلت إذن ما يلزم لكى تنهض حولك — يوما ما — طوائف من الآلهة البشرية ، التى لا ينطفئ لها هى الأخرى ضرام ، فتغرق فى الدم ألوهيتك الموقوتة !

* * *

● **وما** أن ينصرف « سكيبيون » حتى يأخذ « كاليجـولا » فى الإلحاح على هليكون بأن يأتيه بـ .. القمر ! فيقول هليكون : « لنوقف هذه اللعبة يا كايوس ! » .

وينبئه بأن القوم يتآمرون عليه . ولكن الإمبراطور يمضى فى هذيانه الجنونى ، فيترك له هليكون وثيقة اختلسها ، تتضمن سر المؤامرة ، ثم ينصرف . ولكن « كاليجولا » لا يخلو إلى نفسه ، إذ لا يلبث أن يأتيه الشريف الشيخ ، الذى كان من المتحمسين للتخلص منه ، كى يشى له بأن القوم يريدون قتله !

كاليجولا : أتعرف لماذا لا أستطيع أن أصدقك ؟.. لو كان ما تقوله حقا ، فقد وجب على أن أحدس أنك تخون أصدقاءك .. إننى كرهت الجبن ، حتى لم أعد أستطيع أن أمتنع عن قتل أى خائن !

ويحاول الرجل أن يؤكد له أنه ليس خائنا ، وأنه فى الوقت ذاته يحبه ، فيقول كاليجولا : « إنك لست رعديدا .. أليس كذلك ؟.. ولا أنت بخائن .. فالنتيجة إذن ، أن لا مؤامرة هناك ! » ..

ويطرده ليفرغ إلى الوثيقة التى تركها هليكون ، ثم يطلب استدعاء

« شيريا » . وما أن يخلو إلى نفسه ، حتى يتأمل صورته فى المرآة قائلا : « لقد قررت أن تكون منطقيا أيها الأبله ، فحسبك أن ترى إلى أين يقودك هذا ؟.. لو أنهم جاءوك بالقمر ، لتغير كل شيء .. لأصبح المستحيل ممكنا .. (**يتلفت حوله**) الناس يتناقصون حولى .. فيض من الموتى .. حتى لو أنهم حملوا القمر إلى ، فلن يكون بوسعى أن أعود إلى الوراء .. ولو عاد الموتى فتحركوا من جديد تحت أشعة الشمس ، فإن عدد من يموتون من الناس لن يقل عن عدد من سيعودون منهم إلى الحياة !.. (**فى غضب**) المنطق يا كاليجولا !.. يجب اتباع المنطق !.. لن تعود إلى الوراء ! » .

* * *

● **ويأتى** « شيريا » فلا يحسن استقباله ، ولكنه لا يلبث أن يدعوه إلى حديث ودى ، ويسأله عما إذا كان يعتقد أن بوسع رجلين — أوتيا نوعا واحدا من الروح والكبرياء — أن يتجردا من كل رياء وغرض وكذب ، فيتكلما من صميم القلب ؟.. ثم يسأله : « لماذا لا تحبنى ؟ » .

شيريا : لأنه ما من شيء يستحب فيك .. ولأن الإنسان لا يستطيع أن يحب فى غيره ما يحاول أن يخفيه فى نفسه !

كاليجولا: ولماذا تكرهنى ؟

شيريا : تخطىء !.. فلست أكرهك ما دمت لا أراك سعيدا .. ولا أستطيع أن أحتقرك ما دمت أعرف أنك لست رعديدا !

كاليجولا: فلماذا تريد أن تقتلنى ، إذن ؟

شيريا : لأنى أراك مؤذيا ، وأنا أميل بطبعى إلى الأمان .. وأكثر الناس مثلى .. فهم يعجزون عن العيش فى عالم يتاح فيه لأكثر الأفكار شذوذا أن تدخل فى الحقيقة دخول الخنجر فى القلب !

كاليجولا : ولكن الأمان والمنطق لايتفقان . إنك ذكى ، والذكاء إما أن يدفع غاليا ، وإما أن ينكر ذاته . فما بالك لا تنكرها ، ولا تدفع الثمن ؟

شيريا : لأننى أريد أن أعيش ، وأن أكون سعيدا ، وعندى أن الإنسان لا يستطيع أن يكون هذا ، ولا أن يكون ذاك ، وهو يضع المستحيل نصب عينيه . إننى — لكى أستشعر الحرية — أتمنى أحيانا الموت لمن أحب ، وأشتهى من النساء من تحرم على قوانين الأسرة أو التزامات الصداقة اشتهاءهن ، فلكى أكون منطقيا، يجب على أن أقتل ، أو أن امتلك ما أشتهى . ولكنى أعتبر هذه سوانح ليست بذات خطر ، إلا أن يجعل الناس همهم إلى تحقيقها ، وإذ ذاك لا نستطيع أن نعيش ، ولا أن نكون سعداء ، أنا لا أكرهك ، ولكنك مصدر للشقاء ، فيجب أن تختفى !

كاليجولا : ولماذا تعلن ذلك لى وتخاطر بحياتك ؟

شيريا : لأن هناك آخرين سيأخذون مكانى إذا سقطت ، ولأنى لا أحب أن أكذب !

ويعرض عليه كاليجولا الوثيقة ، فيقول « شيريا » إنه كان عالما بأنها

فى حوزته ، ويقول : « ما إخالك تحتاج إلى براهين لكى تسوق إنسانا إلى الموت ! » .

كاليجولا : هذا حق ، ولكننى أريد ـــ لمرة واحـدة ـــ أن أنــاقض نفسى .. إذ يحسن بالمرء أن يناقض نفسه بين آن وآخر ، ففى هذا راحة من العناء !.. ها هو ذا البرهان فى يدى ، وأريد أن أعتقد أن ليس بوسعي أن أدفعك إلى الموت بغيره ، ففى هذا راحتى !

ويحرق الوثيقة وهو يقول : « ألا فلتمجد قدرتى .. إن الآلهة أنفسهم يتقبلون التوبة دون عقاب يسبقها !.. أما إمبراطورك فلم يحتج إلا إلى لهب ليبرئك ، ويشجيك !.. استمر يا شيريا ، واتبع إلى النهاية منطـقك الرائع .. إن إمبراطورك ينتظر راحته ، وهـذه طريقتـه التـى يعــيش ويسعد بها !

الفصل الرابع

● وترتفع الستار عن « شيريا » و « سكيبيون » . ويقـول الأول : « ليس من عادتى أن أطلب العون ، ولكننى فى الواقع محتاج إليك ، إذ لا بد لهذا الاغتيال من شركاء جديرين بالاحترام ، فلا يوجد ـــ بين الزهو الباطل ، والمخاوف الدنيئة ـــ غيرك وغيرى ، من يصدرون عن دوافع غير مشوبة !.. إننى أعلم أنك لن تخوننا إذا تخليت عنا ، ولكن الذى أتمناه هو أن تظل معنا » .

ويقسم « سكيبيون » أن هذا ليس فى مقدوره .. فيسأله شيريا : « أأنت معه إذن ؟ » .

سكيبيون : كلا ، ولكنى لا أستطيع أن أكون ضده .. إن شيئا فى أعماق يشبهه .. إن لهيبا واحدا يكوى قلبينا .. إننى أكابد عين ما يكابده .. إن شقائى ينبع كله من الفهم !

شيريا : ألا فاعلم أن كراهيتى له تزداد أيضا من جراء ما أصابك من تحول على يديه .. لقد ألقى بك فى هوة اليأس .. وإن يدفع إلى اليأس روحا شابة ، لجريمة تفوق كل ما ارتكب من جرائم حتى الآن !

وينصرف « سكيبيون » ، فيدخل حارسان يقودان الشريف الشيخ ، وشريفا آخر ، وعلى أسارير المقبوض عليهما آيات الارتياع الشديد . ويخرج الحارسان ، فيعرف « شيريا » من الشريفين أن كاليجولا قد اكتشف المؤامرة . ولكنه ينصحهما بأن لا يظهرا الخوف ، لأن كاليجولا يحب الشجاعة .. ويقول : « أتعرفان الكلمة المفضلة لديه .. إنه بعد تنفيذ الإعدام فى أحد يقول فى جد : « إن أكثر ما يعجبنى هو الجمود الحسى ! » .. إن هذا الرجل يتمتع بنفوذ لا يمكن إنكاره .. إنه يقسر الناس جميعا على أن يفكروا .. ولا يدفع إلى إثارة الفكر سوى عدم الأمان ، وهذا هو السبب فى كل الكراهية التى تتعقبه ! » .

ويظهر شبح كاليجولا خلف ستار فى الصدر ، فى ثوب قصير كثياب الراقصات ، وعلى رأسه عقد من الأزهار ، وقد راح يرقص فى حركات مضحكة . ثم تدخل « سيزونيا » لتقول إن كاليجولا دعاهم اليوم

ليشتركوا معه فى مهرجان للفن ، وإن من لا يشترك يقطع رأسه !..
وما أن تنصرف ، حتى يقول شيريا : « يجب أن نبادر إلى العمل . ابقيا هنا .. سيبلغ عددنا الليلة نحو المائتين ! » ..

ويخرج . فلا يلبث أن يفد كثيرون من الأشراف . وتأتى « سيزونيا » لتقول إن كاليجولا يعانى آلاما فى المعدة ، وقد تقيأ دما . ويهتف الشريف « موكيوس » مقسما أنه سيضع فى خزانة الدولة مائتى ألف درهم ، لو أن الآلهة ردت إلى الإمبراطور صحته .. فيهتف الشريف « كاسيوس » بأنه ينذر حياته للآلهة !.. وفى تلك اللحظة يدخل كاليجولا ، فيحتضن « موكيوس » ذاكرا أنه يتقبل ما وعد من مال .. كما يتقبل نذر « كاسيوس » ، فيرسله مع حارس ليقتله !

ويرى « شيريا » مقبلا ، فيصمت الجمع فى وجوم ، بينما تخرج « سيزونيا » لاستقباله متظاهرة بالبكاء ، زاعمة أن كاليجولا قد مات !.. فيجيل شيريا بصره فى القوم ، ثم يقول فى بطء ، وبعد لأى : « هذا خطب جلل ! » .

وهنا يدخل كاليجولا هاتفا : « أجدت تمثيلك يا شيريا .. لم تنجح الخدعة ! » .

وبعد أن ينصرف كاليجولا ، يتساءل الشريف الشيخ : « أهو مريض ؟ » ..

فتجيب « سيزونيا » وهى ترمقه فى حقد : « لا ، ولكنه ينام ساعتين من كل ليلة ، ويقضى بقية وقته متجولا فى أبهاء القصر ، لا يكاد يستريح . إن الذى تجهله ، و لم تحاول معرفته ، هو ما يفكر فيه ذلك الرجل ، طوال

الساعات القاتلة التى تمضى بين منتصف الليل ومطلع الشمس .. إنكم — كجميع البلداء — لا تحتملون أولئك الذين تستعر الحمية فى أفئدتهم .. مزيد من الحمية !.. أهذا ما يؤذى ؟.. أيدعى هذا مرضا ؟ » .

وتعلن إليهم أن كاليجولا كرس ذلك اليوم للفن ، وسيقترح على الشعراء — لا سيما « سكيبيون » و « ميتيللوس » — موضوعا يتبارون فيه ارتجالا .. وتضيف : « وطبعا ، ستكون هناك مكافآت .. كما ستكون ثمة ألوان من العقاب ! » .

* * *

● ويفد كاليجولا ، أشد اكتئابا مما كان فى أى وقت مضى . ويساق الشعراء أمامه ، فيقول : « الموضوع : الموت .. الأجل » ..

فيتساءل الشريف الشيخ : « ومن سيكون الحكم ؟ » ..

فيقول : « أنا .. أليست فى هذا الكفاية ؟ » ..

ويسأله شيريا : « وهل ستشترك فى المباراة ؟ » .

فيجيب : « لقد كتبت منذ زمن فى هذا الموضوع .. إننى الفنان الوحيد الذى عرفته روما .. الوحيد الذى يوفق بين فكره وأعماله ! » .

شيريا : هذه مسألة سلطان فقط !

كاليجولا : حقا .. إن الآخرين يدعون والسلطان يعوزهم ، أما أنا فلست فى حاجة إلى شىء !

ويعلم المتبارين بأنه سينفخ فى صفارة ، فيبدأ أولهم فى قراءة شعره ، فإذا نفخ فى الصفارة ، فليكف عن القراءة ، ليبدأ الثانى .. والفائز من لا تقطع

الصفارة قصيدته !

ويتوالى الشعراء ، وكاليجولا يطلق صفارته بعد البيت الأول من كل قصيدة ، حتى يحين دور سكيبيون ، فيشرع فى قصيدته قائلا : « الموت اقتناص للسعادة التى تجعل الخلائق أطهارا .. سماء ينسكب عليها من الشمس ضياء .. أعياد فريدة بربرية .. وانفعالى المحموم بلا رجاء ! » .

كاليجولا : (**يقاطعه فى لطف**) إنك أصغر من أن تعرف دروس الموت الحقيقية !

سكيبيون : (**مركزا بصره عليه**) لقد كنت أصغر من أن أفقد أبى كذلك !

ويصرف كاليجولا الشعراء على صفير منتظم ، فيمسك « شيريا » بالشريف الأول لدى الباب ، ويقول : « لقد حانت اللحظة ! » ..

وما أن يسمع « سكيبيون » هذا ، حتى يتردد ، ثم يعود إلى كاليجولا ، فيقول له هذا : « ألا تستطيع أن تتركنى فى سلام ، كما يفعل أبوك الآن ؟ »

سكيبيون : هلم يا كايوس ، فلن يجديك كل هذا .. إننى أعلم أنك قد اخترت . لم يعد ثمة من خلاص ، لا لك ، ولا لى .. أنا الذى يشبهك كثيرا !

ويطلب إليه كاليجولا أن يتركه ، فيقول : « سأتركك .. إننى راحل بعيدا .. فوداعا .. لا تنس أننى أحببتك » ..

ويستولى الوجوم على كاليجولا بعد انصرافه ، فتسأله « سيزونيا » ا به ..

كاليجولا: لقد رحل سكيبيون ، وبالتالى ، خلصت من الصداقة . أما أنت ، فإنى أسائل نفسى : لماذا أراك باقية ؟.. لو قتلتك ...

سيزونيا : يكون ذلك حلا لمسألتك .. ولكن ، ألا تستطيع أن تتيح لنفسك العيش فى حرية ، ولو لدقيقة واحدة ؟

كاليجولا: منذ بضع سنوات وأنا أمارس العيش فى حرية !

وينهض ليهم بقتلها ، ولكنه يبدل من وضع المرآة ، ويدور حول نفسه ، معلقا ذراعيه فى الهواء دون أن يحركهما ، كأنه حيوان . ثم يقول : « إن هذا غريب .. عندما لا أقتل ، أستشعر الوحدة !.. إن الأحياء لا يكفون لتعمير الكون وتبديد الملل . كذلك وجودك أمامى يجعلنى أحس بفراغ غير متناه ، يتوه فيه بصرى . إننى لا أكون بخير إلا بين ضحاياى ! » .

سيزونيا : تعال ، فارقد بجوارى ، وضع رأسك على ركبتى (**يطيعها**) إنك بخير الآن ، وكل شىء يلفه الصمت ..

كاليجولا: إنك تغالين .. ألا تسمعين وسوسة الخناجر ، ودمدمة متزايدة ؟.. (**وتحاول « سيزونيا » أن تقول له إن أحدا لا يجرؤ على قتله**) إن مصرعى لن يكون بأيدى أولئك الذين قتلت لهم ولدا ، أو والدا ، فهؤلاء قد فهموا .. إنهم معى ، وفى حلوقهم عين ما فى فمى من مذاق !.. أما الآخرون .. أولئك الذين سخرت منهم ، وحقرتهم ،

فلا أجد سلاحا أدفع به خيلاءهم !.. إن ما يقوم ضدى ليس هو الغباء فحسب ، ولكن لدى هؤلاء الراغبين فى السعادة ، أمانة وشجاعة .. ولكن ، علام ينبىء هذا الغرام الدافق منك ، دفعة واحدة ؟.. (**يأخذها بين ذراعيه**) إن عمرى تسع وعشرون عاما ، وهو عمر قصير .. ولكنك فى هذه الساعة التى أستعرض فيها حياتى — فأراها ممعنة فى الطول ، مكتظة بالأسلاب ، مكتملة فى آخر الأمر ! — تبقين أنت شاهدا أخيرا !.. ولست أملك أن أدفع عن نفسى نوعا من الحنان المعيب أستشعره نحو العجوز التى تكونينها الآن .. هذا الحنان هو العاطفة النقية الوحيدة التى أتاحتها لى حياتى حتى الآن .. ألا يحسن أن يخنق هذا الشاهد الأخير ؟

سيزونيا : لايهم ، فأنا سعيدة بما قلت .. ولكن ، لم لا تقتسم معى هذه السعادة ؟

كاليجولا : السعادة نوعان ، وقد اخترت أنا سعادة السفاحين !.. لقد اعتقدت يوما أننى بلغت أقصى حدود الألم ، وليس هذا حقا . إن الضحك ليأخذنى عندما أفكر فى امتناع روما بأسرها — أعواما طويلة — عن النطق باسم « دروسيلا » .. فلقد انخدعت روما طيلة هذه الأعوام !.. إن الحب لا يكفينى ، وهذا ما شعرت به إذ ذاك ، وما أدركه الآن وأنا أنظر إليك : أننا عندما نحب إنسانا ، نرتضى أن نكتهل معه ،

ولست بقادر على هذا الحب .. فلئن تهرم « دروسيلا » لشر يفوق موتها . على أن هناك من يعتقدون أن الإنسان يألم ويشقى لموت من يحبه ، ولكن الشقاء الحقيقى إنما يصدر عن علة أقل تفاهة ، لأن الحزن ليس بأكثر دواما من سواه !.. وهكذا ترين أنه لم يكن عندى مجرد طائف من حب ، ولا مرارة من أسى . ولكننى اليوم أكثر حرية مما كنت قبل أعوام .. متحرر أنا من الذكريات والأوهام (**يضحك فى أسى**) .. إننى أعلم أن لادوام لشىء !.. أى سيزونيا .. لقد تتبعت مأساة شديدة الغرابة ، حتى فصلها الأخير ، وقد حان الوقت لكى تهبط الستار بالنسبة إليك (**ويأخذ فى خنقها وهى مذعورة ، مستسلمة**) .

.. إننى أحيا .. إننى أقتل .. إننى أمارس قدرة المدمر .. قدرة محمومة تبدو مقدرة الخالق إزاءها تقليدا مضحكا !.. هكذا يكون المرء سعيدا ، فالسعادة هى هذا الخلاص المرهق ، وهذا الاحتقار الشامل ، والدم ، والكراهية المحدقة بى ، والعزلة الفريدة للرجل الذى لا يغفل عن حياته كلها طرفة عين ، والغبطة الفائقة عند السفاح الذى لا يناله العقاب !

* * *

● وتموت ، فيدور حول نفسه فى ثورة وحشية ، ويتأمل صورته فى المرآة ، قائلا : « وأنت أيضا يا كاليجولا .. أنت أيضا مذنب ، ولكن ، من ذا الذى يجرؤ على إدانتى فى هذا العالم الذى لا قاضى فيه ، ولا إنسانا بريئا !..

يا لقسوة أن يكون للمرء حوافز تلزمه بالمضى إلى النهاية ، فإنى أخشى هذه النهاية !.. قعقعة سلاح ؟! إنها البراءة تعد العدة لانتصارها . إننى خائف !.. ياله من شىء مستهجن ، أن أشعر — بعد ازدرائى للآخرين — بجبنهم يدب فى أوصالى . ولكن الخوف لا يدوم هو الآخر ، وإنى لعائد إلى ذلك الفراغ الكبير الذى يهدأ فيه القلب ! » .

ويخر على ركبتيه باكيا ، وهو يقول : « لو أننى حصلت على القمر !.. لو أن الحب كان كافيا ، لتبدل كل شىء . ولكن . من أين أروى هذا الظمأ ؟.. كان يكفى أن يتحقق المستحيل . لقد فتشت عنه فى أطراف العالم ، وعند حدود نفسى (**يمد يديه نحو خياله فى المرآة وهو يبكى**) لقد مددت يدى .. إننى أمدهما فلا ألقى سواك .. أنت دائما فى وجهى ، فكم أبغضك ! .. إننى لم أسلك الطريق الصحيحة ، وها أنا ذا لا أنتهى إلى شىء .. وليست حريتى هى الحرية الصحيحة .. أواه !.. إن هذا الليل ثقيل .. ثقيل كآلام البشر ! » .

تسمع قعقعة سلاح ، وهمسات ، فيتطلع إلى صورته ، ثم ينهض فيقذف المرآة بمقعد وهو يصرخ : « إلى التاريخ يا كاليجولا .. إلى التاريخ ! » ..

وتتحطم المرآة ، بينما يدخل المتآمرون ، فيضحك فى خبل وهم يطعنونه .. وتتحول الضحكات إلى شهقات .. ثم يصرخ .. صرخة تجمع بين الضحك والغطيط : « إننى حى ، لا أزال ! » ..

ويلفظ مع الكلمات آخر أنفاسه !